46 | 30 آب - 2023

# IRAQCOPY

## Iraq In Global Think Tanks

نشرة محدودة التداول تصدر عن المعهد العراقي للحوار وترصد ما تتناوله مراكز التفكير العالمية عن العراق

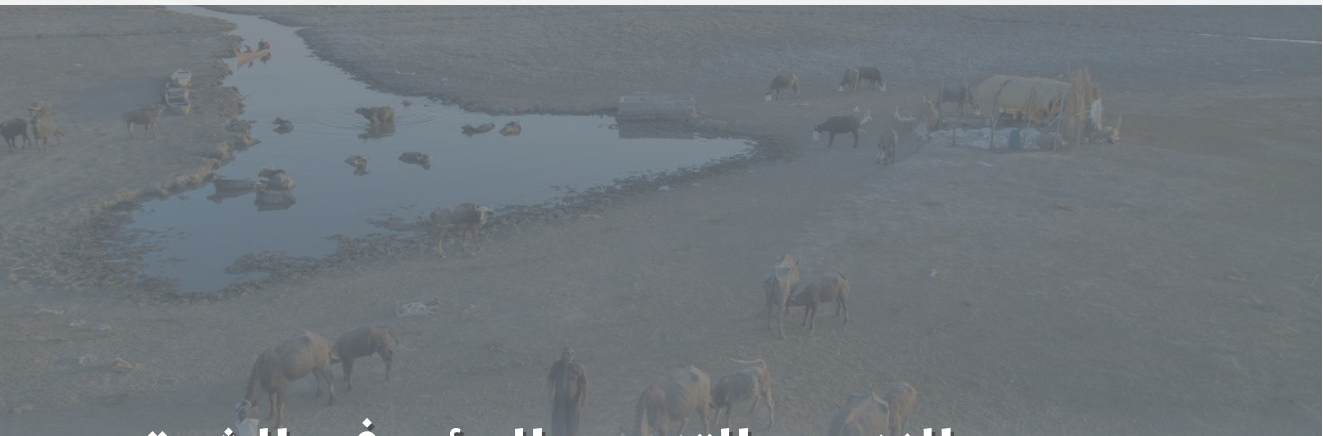

## النزوح والتدهور البيئي في الشرق الأوسط: الحالة العراقية نموذجا

## تحذير مناخي من مهد الحضارة

## كيف يتسبب التغير المناخي في حدوث صدامات ثقافية في المدن العراقية

www. hewariraq. com

مؤسسة أكاديمية فكرية بحثية، تعنى بالدراسات والتخطيط الاستراتيجي، تأسست بعد التغيير في عام 2003، فكانت واحدة من اهم المشاريع التي تعنى بعملية صناعة القرارات وتحضير الخيارات وبدائلها من خلال المراقبة الدقيقة للاحداث الجارية وتداعياتها المحتملة عبر استشراف المستقبل لوضع المسارات اللازمة امام صانع القرار، حيث تقدم المؤسسة خرائط عمل متكاملة وملخصات تنفيذية و أوراق سياسات و تقارير تنتج عبر ندوات وورش تخصصية وابحاث يكتبها ويشرف عليها نخبة من كبار المختصين في الشؤون السياسية والاقتصاية والعسكرية والامنية وغيرها.

ويتميز المعهد العراقي للحوار بقربه من جميع مفاصل الدولة ومن حلقات صنع القرار لما يملكه من كفاءات تعد الابرز على المستوى العراقي وفي التخصصات كافة، وبهيئة ادارية تضم اسماء مميزة في الاوساط الاكاديمية والسياسية وبنخبة من المستشاريين من ذوي الخبرة والكفاية العلمية.

# IRAQCOPY

## Iraq In Global Think Tanks

نشرة محدودة التدا ول تصدر عن المعهد العراقي للحوار
وترصد ما تتناوله مراكز التفكير العالمية عن العراق

IRAQCOPY
Iraq In Global Think Tanks

فريق التحرير

عباس راضي العامري
د. نصر محمد علي
د. كرار انور البديري
فيصل الياسري

+9647905400123
Head@hewariraq. com

# النزوح والتدهور البيئي في الشرق الأوسط: الحالة العراقية نموذجا

الكاتب:

**زينب شكر**

زميل في مؤسسة القرن واستاذ مساعد في علم الاجتماع في جامعة سام هيوستن

المصدر:

**مركز الامارات للدراسات السياسية**

https://epc.ae/en/details/featured/environmental-degradation-and-displacement-in-the-middle-east-the-case-of-iraq

التاريخ:

**24 أيار 2023**

ترجمة وتحرير:

**المعهد العراقي للحوار ـ فيصل عبد اللطيف**

IRAQ COPY

## ملخص تنفيذي

الضعف المؤسساتي والتدهور في الظروف المناخية ومحدودية وسائل المواجهة تسببت بخلق بيئة نما فيها التراجع البيئي والنزوح والضعف المتزايد للدولة في العراق. توصلت الدراسات الى ان منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا هي من بين أكثر المناطق على مستوى العالم عرضة لتأثيرات التغير المناخي, بشكل يضع مصادر معيشة الناس ونشاطاتهم وقدرة الدولة على التكيف مع هذا الوضع في خطر كبير. لقد أثر الاستهداف الحكومي البيئي على مجتمعات الاهوار متسببا بنزوح الكثيرين الى محيط المراكز الحضرية بشكل أضعف هذه المجتمعات والتي كانت تعاني في الأصل لفترات طويلة من التهميش. في الوقت الذي قد يهدد فيه النزوح الداخلي والخارجي مصالح الافراد النازحين والمجتمعات والبلدان الا ان النزوح بسبب المناخ أكثر اثارة للقلق. للتدهور البيئي تاريخ طويل في العراق, يبدأ من استهداف نظام صدام حسين للأهوار في جنوب العراق كأسلوب انتقامي.

IRAQ COPY

الهجرة المناخية هي احد المشاكل المستجدة والتي لا يزال فهمها محدودا. وفقا للتقارير الصادرة عن مركز مراقبة النزوح الداخلي فان الكوارث الطبيعية واحـداث الطقس المتطرف ساهمت بأكثر من 50 بالمائة من النزوح الداخلي عالميا في عام 2021, او حوالي 23.7 مليون حالة نزوح. مهاجرو المناخ هم الافراد او الجماعات التي ترغم على مغادرة مواطن سكنها بسبب التحول المفاجئ او التدريجي في البيئة والتي تؤثر سلبا على حيواتهم وظروف معيشتهم.

توصلت الدراسات الى ان منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا هي من بين أكثر المناطق على مستوى العالم عرضة لتأثيرات التغير المناخي, بشكل يضع مصادر معيشة الناس ونشاطاتهم وقدرة الدولة على التكيف مع هذا الوضع في خطر كبير. ان دراسة العلاقة بين التدهور البيئي والنزوح يحظى بأهمية خاصة. يجب ان تركز الأبحاث المستقبلية على أهمية العلاقة بين الظروف المناخية المتدهورة والمحددات البنيوية القائمة في المجالات التي لم يتم تغطيتها بشكل كافي في الماضي.

هذه الورقة, والتي تركز على الحالة العراقية, تدرس التأثير المتبادل بين النزوح والتدهور البيئي. تعرف المبادئ التوجيهية للأمم المتحدة حول النزوح الداخلي الأشخاص النازحين داخليا على انهم الافراد الذين أرغموا او اجبروا على ترك منازلهم او أماكن اقامتهم المعتادة لتفادي اثار صراع مسلح او حالات عنف او انتهاكات حقوق انسان او الكوارث الطبيعية او التي يصنعها الانسان, ولم يقوموا بتجاوز الحدود المعترف بها دوليا.

اما اللاجئين فهم أولئك الذين غادروا الى خارج اوطانهم وصاروا غير قادرين او راغبين بالانتفاع من الحماية التي تقدمها بلدانهم. وتعد الاحداث التي تنجم عن التغير المناخي من الأسباب الرئيسة وراء النزوح الداخلي, في الوقت الذي يكون فيه الصراع والعنف دافعا أساسيا وراء النزوح الخارجي.

## أنماط النزوح في الشرق الأوسط

النزوح احد المشاكل الكبرى في الشرق الأوسط مع وجود حوالي 12 مليون نازح داخلي نتيجة للصراعات, حوالي خمسة ملايين من هؤلاء

IRAQ COPY

هم من الأطفال. الأشخاص المهجرون اكثر عرضة للمزيد من الصراعات والعنف والارتفاع في معدلات الوفيات جراء عدم توفر المساكن الملائمة والغذاء والموارد. النساء والأطفال والأشخاص ذوي الإعاقة والافراد الذين يعيشون في مجتمعات منهكة وفقيرة هم الأكثر عرضة لخطر النزوح والمصاعب الإضافية بسبب محدودية شبكة علاقاتهم وقلة الموارد الحكومية المخصصة لهم.

الأطفال تحديدا هم الأكثر عرضة لمخاطر الانتهاك والعنف والاستغلال. حوالي خمسة ملايين طفل نازح داخليا في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا وحدها. الأشخاص النازحون الى الخارج يجدون أنفسهم في وضع «يتضاعف فيه تهميشهم» كون اوطانهم الام غير قادرة على تلبية احتياجاتهم بشكل يرغمهم على النزوح الى مواقع جديدة. بناء على دراسات أجريت في ثمان دول نامية, قدر تقرير مركز مراقبة النزوح الداخلي معدل الكلفة السنوية للفرد النازح داخليا بحوالي 310 دولار امريكي.

معدل التأثير الاقتصادي السنوي المرتبط بالنزوح الداخلي يتراوح ما بين اقل من 1 بالمائة الى 11 بالمائة من نصيبهم من اجمالي الناتج القومي في قبل فترة الازمة, ويعتمد ذلك على عدد النازحين داخليا وحدة الازمة ومدة النزوح. وجدت منظمة الصحة العالمية ان الدول منخفضة الدخل على وجه التحديد مهددة اقتصاديا بالنزوح, حيث تقدر الكلفة الاقتصادية المباشرة لرعاية الأشخاص النازحين داخليا حوالي 2.4 مليار دولار او ما يقارب نصف كل الانفاق الحكومي على الصحة في سنة 2017. في عام 2020, وصلت الكلفة الاقتصادية للنزوح الداخلي حوالي 20.5 مليار دولار, والتي لا تتضمن الكلف طويلة الاجل التي ستمر بها المؤسسات الاقتصادية.

هذه الكلف ستكون اعلى في البلدان الأكثر عرضة للمخاطر مثل الصومال والتي يمكن ان يتعرض 20 بالمائة من اجمالي ناتجها القومي للخطر. نتيجة لذلك, يتسبب النزوح الداخلي والخارجي بكلف هائلة مباشرة وغير مباشرة, مخلفة دوامة غير منتهية من الهشاشة والنزوح. منطقة الشرق الأوسط تحديدا معرضة لتداخلات الصراع والنزوح البيئي. في عام 2020, قاد الصراع المتفاقم في ليبيا وسوريا وفلسطين إلى حدوث 2.1

IRAQ COPY

مليون حالة نزوح جديدة مرتبطة بالعنف والصراع, و 341,000 حالة نزوح نجمت عن الكوارث الطبيعية.

على سبيل المثال, تشهد سوريا عنفا وصراعا يحد من قدرة شعبها على التكيف مع ظروف التغير المناخي, وان استخدام الأسلحة والمواد السامة بالضد من شعبها ساهم في مفاقمة الظروف المناخية. اليمن هي احد البلدان الأخرى المعرضة لتأثيرات التغير المناخي, حيث يعيش 75 بالمائة من سكانها في المناطق الريفية ويعتمد بشكل كبير على استقرار الظروف المناخية للحفاظ على موارد عيشهم. ومنذ تصاعد حدة الصراع في البلاد منذ سبعة سنوات, خلق التداخل بين الصراع والمناخ ازمة إنسانية, جاعلا منها واحدة من اكبر أزمات النزوح الداخلي على مستوى العالم.

## حالة العراق

في الوقت تمر في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا من ضغوط التدهور البيئي والتي يفاقمها الصراع وانعدام الاستقرار, فقد خلق ضعف المؤسسات والتراجع في الظروف المناخية ومحدودية الأدوات المتاحة لمواجهة هذه الظروف وضعا مثاليا نما فيه التراجع البيئي والنزوح وترسيخ ضعف الدولة. التدهور البيئي في العراق له تاريخ طويل, يبدأ مع استهداف صدام حسين للاهوار في جنوب العراق كآلية للانتقام واداة للسيطرة على المتمردين خلال الانتفاضة الشيعية في أوائل التسعينات. لقد أثر الاستهداف الحكومي البيئي على مجتمعات الاهوار متسببا بنزوح الكثيرين الى محيط المراكز الحضرية بشكل أضعف هذه المجتمعات والتي كانت تعاني في الأصل لفترات طويلة من التهميش. العديد من الأشخاص الذين كانوا يسكنون الاهوار غادروا ارضهم وعشرات الالاف منهم أرغموا على النزوح داخليا الى مناطق أخرى من العراق. اكثر من 40,000 عبروا الحدود الى ايران للعيش في مخيمات اللجوء. حوالي 250,00 نسمة من عرب الاهوار كانوا يعيشون في منطقة تبلغ مساحتها 20,000 كلم مربع من الممرات المائية والاهوار في نهاية الثمانينات. ولكن, مع حلول عام 2003, بقي هناك 40,000 شخص فقط.

IRAQ COPY

الى جانب الكارثة الإنسانية, كانت الاهوار, في وقت ازدهارها, تعد أحد أكبر المسطحات المائية في الشرق الأوسط, والتي تغطي مساحة تزيد على عشرة الاف كيلومتر مربع ويعيش فيها خليط متنوع من الاحياء المائية والنباتية. هذه المنظومة البيئية حافظ على الاستقرار البيئي في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا, عن طريق تصفية الفضلات وغيرها من الملوثات التي تدخل الى نهري دجلة والفرات, وتحمي النظام البيئي في منطقة ساحل الخليج. أحد الدروس التي يمكن تعلمها من هذه الاحداث هو ان الهشاشة البيئية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا تعكس سلوكيات جدلية تقوم بها الدول والفواعل اللادولتية والصراع والعنف وقدرات الدولة المحدودة في منطقة يكون فيها للتدهور البيئي في بلد ما اثار تتعدى حدوده الوطنية.

ان جهود استعادة الاهوار والسماح للسكان النازحين بالعودة جاءت بعد حوالي عقد من الزمن. هذه الخطط, في ما بعد عام 2003, لإحياء الاهوار ومعالجة التدهور البيئي نجحت الى حد كبير. في الوقت الذي عاد فيه عدد كبير من عرب الاهوار الى مناطقهم بعد جهود الاحياء, الا ان هناك الكثير من النازحين لم يكونوا قادرين على العودة. هذا النمط يشير الى انه كلما طالت فترة بقاء السكان النازحين في مجتمعات غير مجتمعاتهم الاصلية, فانه سيكون من الصعب للأجيال الجديدة العودة الى ارضهم الام مع حدوث تحولات في أساليب حياتهم ومهاراتهم المكتسبة وامتلاكهم لشبكة علاقات اجتماعية جديدة.

كما يوضح هذا الامل ان استعادة الأنظمة البيئية ومعالجة التدهور البيئي غير كافيين. فهما لا يسهلان عودة امنة ونوعية حياة كريمة في المجتمعات الام من دون توافر للفرص الاقتصادية والموارد. كذلك هناك حاجة للبنى التحتية للتعامل بشكل ملائم مع احتياجات السكان الأصليين والاجيال الجديدة التي امتلكت مهارات جديدة تختلف عن الأجيال السابقة.

ان جنوب العراق يتعرض مرة أخرى الى تهديدات خطيرة ترتبط بالمناخ والتدهور البيئي حيث تواجه المنطقة تغيرات حادة في أنماط الطقس. منذ عام 2020, تراجعت مستويات المياه في العراق من حوالي 80 مليار متر مكعب سنويا خلال سبعينات القرن الماضي الى اقل من 50 مليار متر

IRAQ COPY

مكعب. في عام 2022, حذرت وزارة الموارد المائية العراقية بان احتياطي البلاد من المياه تراجع الى النصف منذ العام الذي سبق ذلك. لاحقا من العام نفسه, قادت موجات الحر القاسية والتناقص في معدلات سقوط الامطار والعواصف الترابية والملوحة الى خسارة 60 الف دونم من الأرض الزراعية و 30 الف شجرة, مؤدية الى حدوث نزوح داخلي لحوالي ثلاثة الاف عائلة في عموم ثمان محافظات.

التغير المناخي ليس العامل الوحيد وراء زيادة التدهور البيئي في البلاد. بدلا عن ذلك, ان التدهور في الظروف المناخية يقترن مع القيود الهيكلية مثل البنية التحتية الاروائية المتهالكة ومحدودية قدرة الدولة على التفاوض مع دول الجوار مثل تركيا وايـران وانهيار نظام الصرف الصحي والذي يتم تفريغه بشكل مباشر في نهري البلاد الرئيسيين. علاوة على ذلك, الفساد المدعوم والميسر حكوميا ساهم في زيادة تأثير التغير المناخي, ومفاقمة التدهور البيئي وقلل من قدرة المجتمعات المتضررة من الاستجابة لهذه الظروف, رافعة من الضغط الدافع للهجرة الداخلية والخارجية والهشاشة في أوساط المجتمعات النازحة.

على سبيل المثال, في صيف عام 2018, شكل تلوث المياه مشكلة صحية عامة, أدت الى ادخال 118 الف مواطن الى المستشفيات في مدينة البصرة بسبب نوعية المياه الرديئة. وأخيرا, في الوقت الذي يبرز فيه التدهور البيئي بوضوح لدى بعض المجتمعات, خاصة في جنوب العراق والاهوار, الا ان تأثيرات هذه الظروف يمكن استشعارها في مناطق ابعد من تواجد هذه المجتمعات, وهذا الامر صحيح على وجه التحديد كون مصدر مياه الشرب الأساسي في العراق هو نهري دجلة والفرات. في عام 2022, وجدت الإحصاءات العراقية الرسمية ان مستوى مياه نهر دجلة الداخلة الى العراق انخفضت الى 35 بالمائة من متوسط معدلها خلال القرن الماضي, الامر الذي سيكون له تأثير كبير على عموم السكان في البلاد.

IRAQ COPY

## التدهور البيئي والنزوح

ليس بالامر المفاجئ تعرض العراق لازمة نزوح داخلي وهجرة بسبب تردي الظروف المناخية. في تقرير صادر عن المنظمة الدولية للهجرة صدر في نهاية عام 2021, وجد بانه حوالي 20 الف مواطن نزحوا في عشرة من اصل تسع عشر محافظة عراقية بسبب التراجع في الظروف المناخية والقدرة المحدودة للدولة على الاستجابة لهذه الازمة.

في دراسة للمجلس النرويجي للاجئين صدرت في عام 2021 توصلت الى انه في المناطق التي ضربها الجفاف, 1 من كل 15 اسرة لديها فرد من افرادها اجبر على النزوح من اجل العمل. محافظات البصرة والعمارة وذي قار في جنوب العراق شهدت اكبر عدد من النازحين داخليا بسبب المياه خلال العقد الماضي. وجدت الأبحاث أيضا بان 8 بالمائة من الاسر في هذه المحافظات الثلاث تعتمد بشكل كامل على الزراعة او الماشية او الصيد.

خلال السنوات الخمس الماضية, الكثير من هذه العوائل تركت بشكل كامل نمط الحياة الزراعي وهو ما اقترن في العادة بالهجرة الى محافظات أخرى. عشرون بالمائة من الاسر في جنوب العراق التي تركت الزراعة ذكرت بان احد افرادها هاجر خلال السنوات الخمس الماضية, وهي نسبة عالية مقارنة بالأسر التي لا تمارس مهنة الزراعة. جنوب العراق هو واحد من بين مناطق كثيرة تعاني من الهشاشة. في عام 2019, على سبيل المثال, 5,922 شخص في محافظات كربلاء والقادسية والمثنى والنجب وواسط نزحوا من محافظاتهم بسبب ندرة المياه وارتفاع الملوحة والتلوث.

في الوقت الذي تتعرض فيها مناطق أخرى من العراق لخطر التدهور البيئي بشكل كبير, الا ان شحة البيانات المتوفرة حول النزوح وظروف النازحين يجعل من الازمة صعبة الملاحظة. نتيجة لذلك, النزوح في العراق يدل على التحديات البيئية والاجتماعية والسياسية والديمغرافية التي تواجهها البلاد, خاصة عندما يجتمع هذا الامر مع قلة في البيانات, مما يجعل الحالة العراقية فريدة ومعقدة.

الملاحظات:

- في الوقت الذي يهدد فيه النزوح الداخلي والخارجي معيشة الأشخاص النازحين ومجتمعاتهم وبلدانهم, يمثل النزوح المرتبط بالمناخ مشكلة فريدة. النزوح الداخلي الذي يتسبب به التغير المناخي يمكن ان يزيد من الصراع والتنافس بسبب التسابق للحصول على الموارد مثل التنافس على المياه التي تتناقص مستوياتها والأراضـي الصالحة للزراعة. النموذج الاعم من النزوح المدفوع بالتغير المناخي والتدهور البيئي هو النزوح الداخلي والنزوح الناجم عن الصراع والتنافس السياسي والاثني.

- وعلى العكس من الاعتقاد الشائع, ان الأنماط الرئيسية للنزوح عالميا تميل الى ان تتحدد حركتها محليا ولا تنتقل عبر الحدود الدولية وتكون مدتها أطـول وتؤثر فيها الاحـداث الصغيرة بشكل على استقرار المجتمع الذي تعتريه اكثر من الاحداث الكبرى. ان العودة الى المناطق التي تتعرض الى الازمـات المناخية يكون شبه مستحيل في اغلب الأحيان عندما يحدث التغير البيئي بشكل تدريجي او عندما تحصل كارثة طبيعية واسعة الأثر.

- ان مؤسسات الدولية القوية بإمكانها معالجة ـ عن طريق الدمج الاجتماعي وإعادة التوطين المدروس ـ الاثار الاجتماعية والاقتصادية لمثل هكذا احداث على السكان. أخيرا, المناطق المعرضة للهزات المناخية

IRAQ COPY

الملاحظات:

مثل الشرق الأوسط وشمال افريقيا والعراق هي نقاط ساخنة في الوقت الحاضر والمستقبل. هذه المناطق أصبحت أولوية للبحث والتدخل بسبب التغير السريع الذي يطرا على ظروفها المناخية, والتدهور في مؤسساتها الاجتماعية ومحدودية البيانات المتاحة والتي تتعلق بها.

# تحذير مناخي من مهد الحضارة

الكاتبان:

**أليسا جيه روبين:**

تغطي كتاباتها المناخ والصراع في الشرق الأوسط، وعملت سابقاً وصفها مراسلة لأكثر من عقد من الزمن في بغداد وكابول.

**بريان دينتون:**

مصور فوتوغرافي أمريكي مقيم في نيودلهي، الهند.

المصدر:

https://www.nytimes.com/29/07/2023/world/middleeast/iraq-water-crisis-desertification.html

التاريخ:

**29 تموز 2023**

ترجمة وتحرير:

**المعهد العراقي للحوار - د. نصر محمد علي**

IRAQ COPY

## ملخص تنفيذي

تنتشر التداعيات في العراق في كل مكان، الامر الذي يؤدي وهن المجتمع، وإثارة الاشتباكات المميتة بين القرى، وتشريد الآلاف من الأشخاص كل عام، وتشجيع المتطرفين، وترك المزيد من الأراضي تبدو وكأنها أرض قاحلة على سطح القمر. وتكون المياه في العديد من المناطق التي تضخ تحت السطح مالحة للغاية بحيث لايمكن شربها، وذلك جرّاء تضاؤل المياه والجريان السطحي والنفايات غير المُعالجة. وحتى في الشمال حيث كانت المياه العذبة متوفرة في الماضي، إلا انه عندما حفرت الآبار في أربيل عاصمة كوردستان العراق على عمق 580 قدماً في الصيف الماضي – لم يجدوا سوى المياه المالحة. وتقول الأمم المتحدة أن العراق بات الآن خامس أكثر الدول العربية عرضة لدرجات الحرارة القصوى وندرة المياه ونقص الغذاء. وفي الجوار قال أعضاء في البرلمان الإيراني ان المياه في احدى المحافظات التي يبلغ عدد سكانها مليوني نسمة قد نفد بحلول منتصف أيلول / سبتمبر، الأمر الذي لايترك سوى خيارات قليلة غير الهجرة الجماعية. أما بالنسبة لبقية أنحاء الشرق الأوسط وبعض المناطق الأخرى من العالم- بما في ذلك أجزاء من المكسيك وباكستان والهند والبحر الأبيض المتوسط- يقدم العراق وجيرانه تحذيراً لالبس فيه.

يتعلم كل تلميذ الاسم بلاد مابين النهرين- الهلال الخصيب مهد الحضارة. واليوم يتحول جزء كبير من تلك الأرض إلى غبار. ان كلمة بلاد مابين النهرين نفسها تعني الأرض الواقعة بين نهرين. وفيها اخترعت العجلة، وازدهر الري، وظهر أقدم نظام معروف للكتابة. ويقول بعض العلماء ان الانهار هنا تغذي حدائق بابل المعلّقة الاسطورية وتلتقي في المكان الموصوف في الكتاب المقدس بجنة عدن. ولم يتبق، في الوقت الراهن، سوى القليل من المياه في بعض القرى القريبة من نهر الفرات، الأمر الذي دفع العائلات إلى تفكيك منازلهم حجراً تلو الآخر وتجميعها في شاحنات صغيرة- إطارات النوافذ والأبـواب وكل شيء- ثم يقودونها بعيداً. وقال الشيخ عدنان السهلاني مدرس العلوم هنا في جنوب العراق بالقرب من الناصرية، على بعد أميال من مدينة أور القديمة التي توصف في الكتاب المقدس بأنها مسقط رأس النبي إبراهيم،» لن تصدق ذلك إذا قلت ذلك الآن، لكن هذا المكان كان مغمور في المياه». وقال «لايوجد ماء في هذه الأيام في أي مكان». كل من بقى «يعاني من الموت البطيء». ليس عليك العودة إلى العصور التوراتية للعثور على عراق أكثر خضرة. ففي القرن العشرين عرُفت البصرة باسم «بندقية (فينيسا) الشرق» بسبب قنواتها التي تمر بها قوارب تشبه الجندول تخترق الأحياء السكنية. ولم يكن الهلال الخصيب، في الواقع، الذي يعرف غالباً انه يضم مناطق العراق ودولة فلسطين ( الاراضي المحتلة إلى جانب الضفة الغربية وقطاع غزة)- يفتقر إلى المياه، الأمر الذي ألهم الفنانين والكتاب على مدى قرون، الذين صوروا المنطقة على أنها الارض القديمة الخصبة. وكانت الفيضانات في فصل الربيع شائعة، وكان الارز أحد أكثر المحاصيل استهلاكاً للمياه في العالم، ويُزرع منذ أكثر من 2000 عام. إلا ان رمال الصحراء قد اجتاحت مايقرب 40 بالمائة من مساحة العراق التي تقدر بعشرات الآلاف من الأفدنة الصالحة للزراعة كل عام، وهي مساحة تعادل مساحة ولاية فلوريدا تقريباً. ويقول العلماء ان تغير المناخ والتصحر هما السببان اللذان وراء ذلك. وكذلك الأمر بالنسبة للحكم الضعيف والاعتماد المستمر على تقنيات الري التي تنطوي على الهدر في الموارد المائية والتي يعود تاريخها إلى آلاف السنين إلى العصر السومري. كما أدى النزاع على المياه- على غرار الصراعات بشأن

نهر كولورادو في الولايات المتحدة ونهر ميكونغ في جنوب شرق آسيا، ونهر النيل في شمال أفريقيا – إلى تفاقم نقص المياه بالنسبة لعشرات الملايين من الناس في أنحاء المنطقة كافة. وهناك سبب آخر شائع في مناطق كبيرة من العالم ألا وهو: النمو السكاني الذي يفضي إلى ارتفاع الطلب على المياه بسبب الأعداد الهائلة وفي العديد من الأماكن من جهة وارتفاع مستويات المعيشة وزيادة الاستهلاك الفردي من جهة أخرى. وهنا في العراق تنتشر التداعيات في كل مكان، الامر الذي يؤدي إلى وهن المجتمع، وإثارة اشتباكات مميتة بين القرى، وتشريد الآلاف من الأشخاص كل عام، وتشجيع المتطرفين، وترك المزيد من الأراضي تبدو وكأنها أرض قاحلة على سطح القمر. وتكون المياه في العديد من المناطق التي تضخ تحت السطح مالحة للغاية بحيث لايمكن شربها، وذلك جرّاء تضاؤل المياه والجريان السطحي والنفايات غير المُعالجة. وقد قال أحد المزارعين» ان هذه المياه لاتشربها حتى أبقاري». وحتى في الشمال حيث كانت المياه العذبة متوفرة في الماضي، إلا انه عندما حفرت الآبار في أربيل عاصمة كوردستان العراق على عمق 580 قدماً في الصيف الماضي – لم يجدوا سوى المياه المالحة. وتقول الأمم المتحدة أن العراق بات الآن خامس أكثر الدول العربية عرضة لدرجات الحرارة القصوى وندرة المياه ونقص الغذاء. وفي الجوار قال أعضاء في البرلمان الإيراني ان المياه في احدى المحافظات يبلغ عدد سكانها مليوني نسمة قد نفد بحلول منتصف أيلول / سبتمبر، الأمر الذي لايترك سوى خيارات قليلة غير الهجرة الجماعية. أما بالنسبة لبقية أنحاء الشرق الأوسط وبعض المناطق الأخرى من العالم- بما في ذلك أجزاء من المكسيك وباكستان والهند والبحر الأبيض المتوسط- يقدم العراق وجيرانه تحذيراً لالبس فيه. وقال تشارلز أيسلند، مدير الأمن المائي لمعهد الموارد العالمية، وهو منظمة بحثية: «بسبب نقاط الضعف التي تعتري هذه المنطقة، فهي واحدة من أكثر المناطق ضعفاً على هذا الكوكب، وهي وحدة من أولى الأماكن التي ستُظهر استسلاماً شديداً بالفعل لتغير المناخ». غير أنه أضاف: «لاتوجد دولة، بما في ذلك الدول الغنية، تتكيف مع تغير المناخ إلى الدرجة التي تحتاج إليها».

IRAQ COPY

## الجزء الثاني

### أشد حرارة، وأكثر جفافاً، وأسرع تضرراً

يتذكر الكثير من الناس في القرى القريبة من نهر الفرات كيف كانت اشجار النخيل قبل عشرين عاماً تنمو على نحو كثيف ومتقارب لدرجة أن اوراقها حجبت ضوء الشمس. وكان تناثر الأطفال في قنوات الري وتدفق أباريق الماء التي تُنقل إلى المنزل بمثابة ايقاع الحياة الصيفية. أما الآن فان قنوات الري جافة جداً في فصل الصيف لدرجة أن الجسور الصغيرة التي تمتد عليها لاتكاد تنفع، وتشير صوات الحياة اليومية إلى ندرة المياه: فرقعة الحشائش البنية وحفيف سعف النخيل اليابسة. بعض أشجار النخيل ليس لها أوراق بالمرة، وجذوعها العارية تقف مثل أعمدة الآثار القديمة. وتأتي المساعدة من الحكومة في براميل بلاستيكية حمراء، بحصص تبلغ حوالي 160 غالوناً شهرياً لكل أسرة. وقال السيد سهلاني، شيخ ومدرس علوم، الذي يعيش في قرية البو جمعة، ان الماء بالكاد يكفي لمدة اسبوع في الحر، حتى عند استعماله بنحو ضئيل. وقد عبرت كتابات مكتوبة باللغة العربية على جدار خراساني شبه مدمر عن الإحباط جاء فيها : «أين الدولة؟» وفي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، قامت وزارة المياه العراقية ببناء بحيرات وسدود صناعية لاحتواء الفيضانات السنوية الهائلة الناجمة عن امطار الشتاء والثلوج المتدفقة الذائبة من جبال طوروس، منابع نهري دجلة والفرات. ويمكن رؤية آثار ماضي العراق الأكثر خضرة في كل ربيع حتى وقتنا الحاضر. ويمكن لأمطار الشتاء القصيرة في صحراء الأنبار أن تحول الوديان الضحلة إلى اللون الأخضر وتزينها بالأزهار. ماتزال المياه، على طول نهري دجلة والفرات، تغذي الأشجار على ضفتي النهرين الضيقتين، مع وجود مساحات من الحقول الخضراء على كلا الجانبين. لكن حتى تلك المساحات تقلصت في العقود الأخيرة. فالمنطقة تزداد سخونة – على نحو أسرع- من أجزاء كثيرة من العالم. وتبعاً لبعض التقديرات، يمكن أن ترتفع درجة حرارة منطقة الشرق الأوسط وشرق البحر الأبيض المتوسط بمقدار 5 درجات مؤية (9 درجات فهرنهايت) أو أكثر خلال هذا القرن. وفي أسوأ أشهر الصيف تغدو بعض المناطق غير صالحة للعيش

IRAQ COPY

تقريباً. ومن المتوقع أن يتضاءل هطول الأمطار، المنخفض بالفعل، في أنحاء الشرق الأوسط كافة. ان الجفاف الذي يجتاح العراق الآن في عامه الرابع، والبلاد معرضة للخطر بنحو خاص لأن معظم مياهها تأتي من أنهار تنبع خارج البلاد، الأمر الذي يجعلها رهينة لقرارات جارتيها تركيا وإيران.

## الجزء الثالث

### حروب المياه

قامت تركيا، منذ عام 1974، ببناء 22 سداً ومحطة للطاقة الكهرومائية ومشاريع الري على نهري دجلة والقرات، على غرار هيأة وادي تينسي في الولايات المتحدة الأمريكية. ثم بدأت إيران في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، في بناء أكثر من عشرة سدود وأنفاق أصغر على روافد نهر دجلة الأمر الذي أدى إلى تدمير المحافظات العراقية مثل ديالى التي كانت معروفة قبل 10 سنوات فقط بالخوخ والمشمش والبرتقال والتمر. وتعد الروافد القادمة من إيران المصدر الوحيد للمياه في المحافظة، بخلاف هطول الأمطار المتضائل. وكان التأثير جذرياً: إذ انخفضت المياه المتدفقة إلى العراق بنسبة 50 في المائة تقريباً في نهر الفرات وبنحو الثلث في نهر دجلة منذ بناء السدود الكبرى في السبعينيات من القرن الفائت تبعاً لاحصاءات وزارة الموارد المائية العراقية. لقد شعر هاشم الكناني وعائلته بالتغييرات بنحو مباشر. إذ كانوا يزرعون وعلى مدى أجيال 20 فداناً شرق بغداد على حدود ديالى، ويواجهون المحنة تلو الأخرى. فقد ادى الغزو الأمريكي والإطاحة بصدام حسين إلى تقليص دعم الدولة للمزارعين. ثم تحرك تنظيم القاعدة في عام 2006 وقتلت العديد من الرجال المحليين، وتركت جثثهم مقطوعة الرأس في الخنادق. فقد هاشم عمه، وقصف تنظيم القاعدة منزل العائلة. ومما يزيد الطين بلة ان هطول الأمطار بات أكثر انتظاماً وتضاءل تدريجياً. وأضحت مياه النهر، مع البدء ببناء السدود الإيرانية، نادرة للغاية بحيث لايمكن زراعة الفاكهة. وماتت أشجار التين والرمان. وباعت عائلته الماشية والاغنام البالغ عددها 1500 رأس، لأنه كان من المستحيل إطعامها. وهو غير متأكد من المدة التي

يمكنه الصمود فيها، وأكد قائلاً «لا أستطيع البقاء، ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟»

التاريخ مليء بحروب المياه، وقد وقع أحد أقدم الصراعات المسجلة هنا في الهلال الخصيب، حيث وثق الكتاب صراعاً على المياه في دول المدن السومرية منذ أكثر من 4000 عاماً فيما يعرف في الوقت الراهن بالعراق. لقد اتخذت العديد من الدول موقفاً هجومياً لضمان حصول شعوبها على مايكفي من المياه. فقد أمضت اثيوبيا سنوات في بناء سد ضخم على نهر النيل، الأمر الذي أثار الخوف والغضب في مصر عند المصب. وقد فعلت الصين الشيء نفسه مع نهر الميكونج. وقد خاضت دول آسيا الوسطى نزاعاً طويل الأمد بشأن نهري آمو داريا وسير داريا اللذان جففا إلى الحد الذي لايبقى سوى القليل من المياه عندما يصلان إلى بحر آرال الداخلي. وتشترك البلدان، في انحاء العالم كافة فيما يقرب 900 نهر وبحيرة وطبقة مياه جوفية، وفقاً للأمم المتحدة، وعلى الرغم من وجود معاهدة لتنظيم استعمالها، إلا أن أقل من نصف البلدان صادقت عليها. ومما تجدر الاشارة اليه إلى أن دول المنبع مثل تركيا وإيران والصين تغيب عن القائمة. وقد هددت وزارة الموارد المائية العراقية في عام 2021 بجر إيران إلى محكمة العدل الدولية بسبب الاستيلاء على مياهه. لكن الحكومة العراقية التي يهيمن عليها الشيعة، والمقربة من زعماء طهران، تخلت عن هذه القضية. وماتزال عائلة الكناني التي ذبلت مزرعتها عندما قامت إيران ببناء السدود، تزرع القليل من القمح، يذهب معظمه لاستهلاكها الخاص. غير أن قناة الري التي كانت تستعملها المزرعة في السابق باتت الآن تحتوي على مياه راكدة ولزجة تقريباً ذات لون أخضر مائل إلى البني ورائحة كريهة. وقال الكناني : «نحن نسقي بمياه الصرف الصحي».

## الجزء الرابع

### عودة تنظيم داعش الارهابي

يجلب الجفاف مخاطر أخرى أقل وضوحاً أيضاً. فقد كانت الانهار وقنوات الري في أجزاء من العراق توفر ذات يوم حواجز استراتيجية- فمياهها

IRAQ COPY

واسعة أو سريعة أو عميقة للغاية بحيث لايستطيع المقاتلون المتطرفون اجتيازها. واليوم، إذا كانت تلك المياه جارية، فهي غالباً ما تكون منخفضة بما يكفي للسير عبرها. ويستفيد المتشددون الذي تم صدهم في السنوات الأخيرة من جفاف المنطقة للعودة والهجوم بسهولة، وتبعاً للشيخ محمد ضيفان، الذي يكافح لمنع قبليته شمال شرق بغداد من مغادرة القرى الـ 44 والاراضي التي عملوا فيها لأجيال. وعندما استولى تنظيم القاعدة على أراضي القبيلة في عام 2005 استعمل الحجارة لسد قنوات الري التي يغذيها نهر العظيم وأجبر العديد من المزارعين على الفرار. وبعد هزيمة تنظيم القاعدة، اقنع الشيخ محمد معظم أفراد عشيرته بالعودة. لكن عندما بدأ تنظيم داعش في الظهور عام 2012 اضطرت قبيلته إلى المغادرة مرة أخرى. وأخيراً بعدما يقرب من خمس سنوات، هزم تنظيم داعش وبدأ القرويون في العودة. أما الآن فان العدو الرئيس هو الجفاف، الذي لايسرق سبل عيشهم فحسب، بل يسرق أيضاً احساسهم بالأمان. وفي بعض الأماكن، بالكاد تغطي المياه الحصى المبطن لقاع النهر. بالكاد يتعين على تنظيم داعش أن يبطئ من سرعته للعبور. وقال الشيخ محمد : «لقد كان النهر يحمينا»، وأضاف «في الوقت الراهن في بعض الأحيان يمشون، وأحياناً يقودون دراجاتهم النارية، والمياه منخفضة للغاية». وفي العام الماضي عبر مقاتلو تنظيم داعش سيراً على الأقدام وقتلوا 11 جندياً، كان العديد منهم نياماً، في مواقع الجيش العراقي على ضفاف النهر. وتحرك في هذا العام المقاتلون شرقاً، وهاجموا القرى الواقعة على نهر ديالى، الذي ينحسر أيضاً بسبب الجفاف والسدود الإيرانية. وقد قتل أكثر من 50 مدنياً في المحافظة خلال الأشهر الأولى من عام 2023 معظمهم على يد مقاتلين متحالفين مع تنظيم داعش. وقد أدى في العام الماضي ذوبان الثلوج والأمطار في بعض الأحيان إلى ارتفاع أنهار المنطقة، الأمر الذي دفع تركيا وإيران إلى تقاسم المزيد من المياه مع العراق. غير أن المستقبل لايبدو انه يقدم الكثير. ومن المتوقع أن يستمر النمط الحالي المتمثل في عراق أشد حرارة وجفافاً – وشرق أوسط أشد حرارة- لعقود من الزمن، الأمر الذي يجعل من الهلال الذي كان خصيباً ذات يوم أقل ملائمة للعيش فيه. ويقول البنك الدولي ان العراق لايملك بالفعل مايكفي من المياه

لتلبية احتياجاته. لكن بحلول عام 2035 قد يتسع العجز المائي بنحو كبير، مما سيؤدي إلى تقليص الإمدادات الغذائية المحلية في البلاد والاقتصاد ككل. وقد ذهبت المناشدات الموجهة إلى تركيا لتقاسم المزيد من المياه أدراج الرياح. ففي صيف عام 2022 وفي ذروة الجفاف العام الماضي، استجاب سفير تركيا في العراق لطلبات العراق للحصول على المزيد من المياه عبر الشكوى من أن العراقيين «يهدرونها» داعياً الحكومة العراقية إلى سن «اجـراءات فورية للحد من الهدر». وفي هذا العام عندما جاء طلب مماثل تقاسمت تركيا المزيد من المياه لمدة شهر قبل تقليصها مرة أخرى. ان شكاوى تركيا بشأن العراق ليست بلا أساس. اذ يتمخض عن الري في العراق فقدان كميات كبيرة من المياه جرّاء التبخر والجريان السطحي. وتتسرب المياه إلى القنوات الترابية، كما وتتسرب من الأنابيب الصدئة، ثم تتسرب بعد استعمالها في الري الفيضي، وهي الطريقة التي تعود إلى 6000 سنة لري الحقول. تجعل الأسمدة الموجودة في الجريان السطحي المياه الجوفية أكثر ملوحة. وتظهر الدراسات التي أجريت في جنوب العراق مناطق واسعة ترتفع فيها مستويات الملح لدرجة أنه لايمكن استعمال المياه للشرب أو الري أو حتى غسل الملابس. وتعمل الزيادة في عدد سكان العراق من أن تكون التوقعات أكثر خطورة: فالعراق واحد من أسرع المناطق نمواً في المنطقة. يتذكر السيد السهلاني، مدرس العلوم بالقرب من الناصرية، نمط الحياة التي عاشها ريف جنوب العراق على المياه قبل 20 عاماً. حيث يبدأ السكان المحليون أيامهم في قوارب صغيرة، عند بزوغ الفجر وينطلقون لصيد الأسماك قبل أن يعودوا بعد شروق الشمس لرعاية الحقول. صحيح ان البعض مايزال يفعل ذلك، إلا ان أسماك النهر غالباً ماتكون صغيرة جداً، ولحمها مشبع جداً بالملوثات، الامر الذي يجعلها لاتستحق العناء هذه الايام وتتجلى هذه التغيرات بنحو خاص في الأهوار الشاسعة في جنوب العراق. قبل بضع سنوات كانت أكبر الأراضي الرطبة في غرب اوراسيا. لقد عاش الناس هناك منذ آلاف السنين. وقام صدام حسين بتجفيف نحو 90 بالمائة من مياه الاهوار ليحرم أعداءه من مكان يختبؤون فيه في قصبهم الكثيف وجزرهم الصغيرة. وقال عزّام علوش، المهندس العراقي الأمريكي الذي ساعد في إعادة غمر الأراضي الرطبة بعد الغزو

IRAQ COPY

الأمريكي، انه بذلك خنق «رئتي العراق». ومن المثير من الدهشة ان الحياة البحرية انتعشت بسرعة، وعادت الطيور المهاجرة وكذلك الأشخاص الذين غادروا. ثم انزلق مرة أخرى المشحوف – القوارب الضيقة التي استعملها السومريون- عبر الممرات المائية. وازدهرت قطعان جاموس الماء. غير ان سنوات الجفاف، إلى جانب خنق المياه القادمة من تركيا وإيران، قد دمرت الأهوار مرة أخرى. قال محمد رائد يبلغ من العمر 19 عاماً، تاركاً الأهوار خلفه، وهو يسير بجاموس عائلته صوب محافظة مجاورة، حيث مازال هناك أمل في إطعامها: «ان الأهوار بدأت تجف». وقال السهلاني، مدرس العلوم، ان الناس ينظرون إلى جيرانهم عند المنبع بعين الريبة ويتهمونهم بأخذ كميات أكبر من المياه من قنوات الري أكثر مما تستحق، ثم يغلقون بوابات السد، الأمر الذي يترك القليل جداً للسكان في أسفل المصب لزراعة المحاصيل. ومن دون أن يدرك، كان يصف -على نطاق أصغر بكثير- المواجهة بين العراق وتركيا وإيران اللتان تسيطران على جزء كبير من نهري دجلة والفرات. وقال غزوان عبد الأمير، مدير في الوارد المائية العراقية في الناصرية: «أتفهم المشكلة» مضيفاً أن الحكومة تأمل في توفير المزيد من المياه لسكان المنطقة. غير أن المياه شحيحة والمال شحيح، كما قال «ربما في العام المقبل». يعد اصلاح تقنيات الزراعة القديمة في العراق، والتي تهدر مايصل إلى 70 بالمائة من المياه المستعملة للري، تبعاً لدراسة أجريت لصالح وزارة المياه العراقية، أمراً بالغ الأهمية. غير أن اقناا المزارعين بالتغيير كان بطيئاً. لم يكن هناك سوى 120 نظاماً للري بالتنقيط مخصصة للمزارعين في محافظة السيد السهلاني العام الماضي لتوفير المياه- وكان يتعين على المزارعين دفع ثمنها. وبعيداً عن الزحف العمراني في شمال الناصرية، حيث محلات تصليح السيارات الصغيرة وأكشاك الخضار، تخلو الارض. إذ تتجمع سحب العواصف في وقت متأخر بعد الظهر ثم تتفرق من دون أن تتساقط أي قطرة. وتشير خصلات الأعشاب، ذات اللون الأصفر والبني بحلول أواخر حزيران / يونيو، إلى أن المحاصيل نمت هنا منذ وقت ليس ببعيد. تبدأ الرياح في وقت مبكر من كل صباح وتهب دون توقف حتى الغروب. فهي تجرد التربة السطحية، وتجفف الأرض حتى لاتبقى سوى غبار ترابي يتراكم على الكثبان الرملية المتصاعدة

بسرعة. وعلى بعد مسافة قصيرة بالسيارة من الطريق السريع، وفي عمق الصحراء، تقع قرية النجم وهي قرية أزيلت من الخارطة. فقد كان يبلغ عدد سكانها 5000 آلاف شخص ولم يتبق منهم في الوقت الراهن سوى 80. وقد وصلت درجة الحرارة إلى 122 درجة. وأشار قحطان المهنا، وهو مهندس زراعي، إلى معالم البلدة: المباني نصف مغطاة بالرمال، والأبواب مدفونة بعمق بحيث لايمكن فتحها. وتراكمت الرمال في منتصف الطريق حتى أعلى الجدران، وانسكبت على النوافذ واثقلت أسطح المنازل. قال : «كانت تلك المدرسة». وتوقف المعلمون عن الحضور مطلع عام 2022. وقد ولد في القرية الشيخ محمد عجيل الفلغوص شيخ عشيرة النجم. وأوضح قائلاً: «كانت الأرض جيدة، وكانت التربة جيدة». وقال انه حتى أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين «كنا نزرع القمح والشعير والذرة والبرسيم». والآن كل ماينمو هو مجموعات صغيرة من أشجار الاثل المزروعة بوصفها حصناً ضد الرمال. وقال الشيخ: «نحن نعيش على حافة الحياة». لم تعد هناك زراعة، ولم تعد هناك امكانية للزراعة. لقد وصلنا إلى النهاية، نهاية الحياة. ننتظر الحل من الله أو من أهل الخير».

# كيف يتسبب التغير المناخي في حدوث صدامات ثقافية في المدن العراقية

يرغم الجفاف الالاف من الريفيين في العراق على الهجرة الى المدن للعمل، جالبين معهم أفكارهم الثقافية الخاصة. هذه الامر تسبب بحدوث صدامات مجتمعية، وصلت في بعض الأحيان الى العنف، في مدن كبيرة مثل بغداد والبصرة.

الكاتب:

**كاثرين شاير**

صحفي مستقل مقيم في برلين عمل مع وسائل إعلامية متعددة مثل النيويورك تايمز والجزيرة وصحيفة الغارديان.

المصدر:

**إذاعة صوت المانيا (دويتشة فيله)**

https://www.dw.com/en/when-the-farmers-come-to-town-climate-change-causes-culture-clashes-in-iraqs-cities/a-66331373#

التاريخ:

**24 تموز 2023**

ترجمة وتحرير:

**المعهد العراقي للحوار ـ فيصل عبد اللطيف**

## ملخص تنفيذي

تقول الأمم المتحدة بان العراق هو واحد من أكثر خمس بلدان تأثرا بالتغير المناخي على مستوى العالم. حوالي 92 بالمائة من الأراضي العراقية مهددة بالتصحر ودرجات الحرارة هنا تزداد بسرعة تفوق المعدلات العالمية بسبعة اضعاف. هذا الامر يجعل من الزراعة امرا صعبا اذا لم يكن مستحيلا ويتسبب بنزوح الاسر الزراعية الى مدن العراق بحثا عن فرص العمل. غالبية النازحين يكونوا عاطلين عن العمل او يعملوا في وظائف منخفضة الأجور في قطاعات غير رسمية ـ مثل العمالة اليومية, التجارة غير الرسمية, والمصالح التجارية الصغيرة او الأسواق ـ في الوقت الذي يعمل فيه غالبية السكان المحليين في وظائف حكومية.» يتنافس القادمون الجدد مع السكان القدماء على البنية التحتية المتهالكة في الأصل وقد يجدون انه من الصعب بمكان الحصول على خدمات مثل النقل والرعاية الصحية او التعليم. حتى أنظمة الصرف الصحي والمياه الصالحة للشرب يمكن ان تكون صعبة المنال. شبكات الرعاية الاجتماعية قد تكون محدودة وقد ترتفع فرص الامراض النفسية وتعاطي المخدرات. تلاحظ كل من منظمات المراقبة ووسائل الاعلام بان العداء بين الريف والمدينة في حالة تصاعد. سكان المدن ينظرون بعين الريبة الى القادمين الجدد على انهم متورطين بالجريمة والعنف والسلوكيات البدائية وجلبهم للنزاعات القبلية الى المدن معهم. السياسيون المحليون يميلون أيضا الى القاء اللوم على المهاجرين الريفيين أيضا.

IRAQ COPY

في بغداد, تبدأ الشجارات بسبب أمور خلافات صغيرة, تقول مرامة حبيب, أحد السكان القدماء في العاصمة بغداد. «في القرية, مثل تلك التي انحدر مها, لا يتقبل الناس جلوس الغرباء خارج منازلهم او بجوار جدران دورهم,» تشرح الصحيفة التي تسكن في منطقة الكرادة المترفة في بغداد لكنها جاءت في الأصل من مدينة صغيرة خارج الكرادة, وهي ترفض استخدام اسمها الحقيقي حتى لا تغضب أهلها وجيرانها في مسقط رأسها. «لكن في المدينة, الجميع يقوم بهذا الامر. فلا ضير من الجلوس في الشارع امام منزل أحدهم. انه امر طبيعي. لكن المزارعين من الريف لا يتفهمون ذلك ويعدون ذلك معيبا. لقد شاهدت بعيني أناسا يتشاجرون بسبب ذلك,» قالت مرامة لإذاعة صوت المانيا.

تعطي مرامة حبيب مثالا اخر على تنامي الصدامات الثقافية في العراق. فالعوائل الريفية ليست معتادة على رؤية النساء وهن يرتيدن ملابس بطراز غربي. فمرامة المتدينة والتي تلبس الحجاب لكنها بقية زيها يتضمن ملابس متواضعة مثل القمصان طويلة الاكمام وسراويل الجينز, وهو ما ترتديه معظم النساء في بغداد.

«في القرى, تغطي النساء اجسادها بشكل كامل,» توضح مرامة, مشيرة الى الاثواب والعباءات الطويلة والتي تغطي جسد المرأة تماما. «لذلك عندما يأتي الفلاحين الى بغداد يعتقدون بان النساء اللواتي يرتدين ملابس غربية هن نساء منحطات,» تقول حبيب وهي مبتسمة. «هذا الامر يمكن ان يتسبب بالمشاكل. فانا بالأصل من الريف وأستطيع فهم وجهة النظر هذه. واحاول إيضاح الامر لهم. لكن هذا الشي يخلق مشاكل إضافية.»

## مشكلة متنامية

هذه هي أنواع المشاكل الاجتماعية التي من المرجح ان يشهد العراق المزيد منها. تقول الأمم المتحدة بان العراق هو واحد من أكثر خمس بلدان تأثرا بالتغير المناخي على مستوى العالم. حوالي 92 بالمائة من الأراضي العراقية مهددة بالتصحر ودرجات الحرارة هنا تزداد بسرعة تفوق المعدلات العالمية بسبعة اضعاف. هذا الامر يجعل من الزراعة امرا صعبا

إذا لم يكن مستحيلا ويتسبب بنزوح الاسر الزراعية الى مدن العراق بحثا عن فرص العمل.

«المدن الريفية في العراق تواجه بالأساس عددا من المشاكل,» يقول جيمس مون, المدير في مكتب المجلس النرويجي للاجئين في العراق. نظرا لطول فترات الصراع في العراق, تعاني المناطق الريفية من الشحة في الموارد, أخبر جيمس إذاعة صوت المانيا. «لذلك هنالك القليل من فرص العمل, وقلة من البنى التحتية الفاعلة وندرة في المياه وقلة في المدارس والمستشفيات. هذه هي الصورة العامة لما يحصل في الوقت الحاضر. ثم يأتي التغير المناخي ليفاقم كل مواطن الضعف هذه بشكل إضافي, مرغما المزيد من الناس على النزوح.»

يقول متحدث باسم المنظمة الدولية للهجرة التابعة للأمم المتحدة, بانه في العراق, وللفترة بين شهر حزيران 2018 وحزيران 2023, تم تسجيل ما لا يقل عن 83,000 نازح «بسبب التغير المناخي والتدهور البيئي في مناطق متعددة من جنوب العراق.»

«هذا النوع من النزوح يحدث غالبا من المناطق الريفية الى المناطق الحضرية, وبفترات قصيرة,» تذكر المنظمة الدولية للهجرة. ويؤكد المتحدث في هذه المنظمة «ان المجتمعات المستضيفة في المناطق الحضرية بدأت تشكو من ارتفاع التوترات.» فالكثير من النازحين بسبب التغير المناخي يسكنون مدن العشوائيات ومستعمرات غير نظامية في داخل وحول المدن الكبرى.

«القادمون الجدد يميلون الى البقاء في خارج المنظومة التي اعتاد عليها السكان المحليون,» يقول المتحدث باسم منظمة الهجرة الدولية. «غالبية النازحين يكونوا عاطلين عن العمل او يعملوا في وظائف منخفضة الأجور في قطاعات غير رسمية ـ مثل العمالة اليومية, التجارة غير الرسمية, والمصالح التجارية الصغيرة او الأسواق ـ في الوقت الذي يعمل فيه غالبية السكان المحليين في وظائف حكومية.»

يتنافس القادمون الجدد مع السكان القدماء على البنية التحتية المتهالكة في الأصل وقد يجدون انه من الصعب بمكان الحصول على خدمات مثل النقل والرعاية الصحية او التعليم. حتى أنظمة الصرف

IRAQ COPY

الصحي والمياه الصالحة للشرب يمكن ان تكون صعبة المنال. شبكات الرعاية الاجتماعية قد تكون محدودة وقد ترتفع فرص الامراض النفسية وتعاطي المخدرات.

**الانقسام السياسي بين الريف والمدينة**

خارج البلاد, تلاحظ كل من منظمات المراقبة ووسائل الاعلام بان العداء بين الريف والمدينة في حالة تصاعد. سكان المدن ينظرون بعين الريبة الى القادمين الجدد على انهم متورطين بالجريمة والعنف والسلوكيات البدائية وجلبهم للنزاعات القبلية الى المدن معهم. السياسيون المحليون يميلون أيضا الى القاء اللوم على المهاجرين الريفيين أيضا.

هذا الامر لا يحدث في العراق فقط, يذكر علماء الاجتماع بان الاختلافات السياسية بين سكان المدن, والذين يمكن ان يكونوا أكثر تحررا وتسامحا مع التنوع الثقافي, وسكان الأرياف, والذين ينظر إليهم على انهم «بسطاء» وأكثر محافظة وتديناً.

وهذا السبب أيضا يقف وراء تحول أي خلاف بين الجيران حول جدران المنزل او طريقة لبس النساء الى خلاف في نهاية الامر يمكن ان تكون له ابعاد كبيرة.

فمدينة الصدر المكتظة سكانيا في بغداد مثال جيد على هذا الامر. فقد تم بناءها في الخمسينات لإسكان الريفيين العراقيين الذين هاجروا بسبب الجفاف والفقر والاستيلاء على ارضهم.

بمرور الزمن, «حول المهاجرون الريفيون وابنائهم المستوطنات الطرفية التي سكنوا فيها الى مدن ومواقع للمقاومة, حيث وفرت هذه المناطق قواعد دعم للشيوعيين والقوميين وفي وقت لاحق الإسلاميين الشيعة,» كما تذكر أستاذه العمارة هوما غوبتا في ايجاز سنة 2021 قدمته الى مركز كراون لدراسات الشرق الأوسط والذي يقع مقره في الولايات المتحدة. لقد حولت الهجرة الريفية الى بغداد المسار السياسي في العراق بشكل جذري,» تجادل غوبتا.

**موضوع لا يحظى بالكثير من الاهتمام**

لذلك ما الذي يمكن فعله او هل يوجد هنالك شيء يمكن فعله للحفاظ على التماسك الاجتماعي في العراق في وجه تنامي موجات النزوح المرتبطة بالتغير المناخي؟

يقدم الخبراء بعض الحلول. «نظرا للمخاوف المتعلقة بالاندماج, يمكن ان تركز البرامج المستقبلية على دعم جهود الاندماج الاجتماعي في المناطق التي سجلت ارتفاعا في نسبة نازحي المناخ اليها, « كما تقترح منظمة الهجرة الدولية في العراق. «المزيد من البحث يجب ان يتم اجراءه حول التصورات التي تقول بان عدم توفير حلول للمظالم القبلية في الريف يمكن ان ترفع من نسب الخروقات الأمنية. وأخيرا, ان حقوق المهاجرين والنازحين بالانتقال عبر المحافظات والمدن يجب ان يتم ضمانها.»

في حين يقترح خبراء اخرون بانه باستطاعة السلطات المحلية القيام بحملات توعية واستيعاب القادمين الجدد بشكل أفضل ـ العراق بالأصل يعاني من ازمة سكن وتشير التقارير الى ان البلاد بحاجة الى 2.5 مليون وحدة سكنية ـ كما يتوجب على السلطات المساعدة في مجال التشغيل والوصول الى الخدمات.

ولكن بسبب قضايا مثل انعدام الاستقرار السياسي والفساد, لم تقدر الحكومة العراقية على الاستجابة بشكل ملائم لتحدي التغير المناخي بشكل عام, ناهيك عن قضايا محددة مثل قضية النازحين.

«على الرغم من حديث أجهزتها عن هذا الامر, لا ان الحكومة العراقية لا تمتلك خطة لهؤلاء الناس,» اخبر الناشط البيئي احمد صالح نعمة إذاعة صوت المانيا والذي يسكن في جنوب العراق. «في الواقع, الحكومة لا تزال تنكر بعض الاحصائيات (حول النازحين داخليا). لذلك لا توجد خطة بهذا الصدد. اما بالنسبة للوكالات الدولية, فان منظمات مثل الأمم المتحدة لا تزال في طور البحث والعمل على تقديم المساعدة,» يذكر احمد.

في الوقت الذي تعي فيه المنظمة الدولية للهجرة هذه المسائل, فان قائمة النشاطات الطويلة الخاصة بها تشير الى ان اغلب جهودها منصبة الان على دعم المجتمعات الزراعية التي تعاني من التغير المناخي.

IRAQ COPY

هذا الموضوع أيضا لم يدرس بشكل كافي, كما يقول الخبراء. الباحثون اما ينصب تركيزهم على المناطق الريفية في بلدان مثل العراق, او على العنف الذي ينجم عن التغير المناخي, على سبيل المثال, المجتمعات التي تقاتل حول مصادر المياه والأراضي الصالحة للزراعة, او عندما يتم المزارعين الشباب بالالتحاق بالجماعات المسلحة.

وفي حين ان التعريف الدولي لماهية النازح البيئي لا يزال مبهما, هناك غموض أكبر يلف الوضع القانوني للشخص النازح محليا بسبب التغير المناخي.

«يبدو ان موقف الحكومة الفعلي وبدلا من الاعتراف بالنزوح المدفوع بالمناخ فان من الاسهل لها الادعاء بان هؤلاء نازحين لأسباب اقتصادية,» يلاحظ المدير التنفيذي لمجلس اللاجئين النرويجي. «لكن ما يحدث هو ان أجزاء كبيرة من البلاد تصبح غير صالحة للحياة خلال معظم أشهر فصل الصيف, والتي تدخل ضمن الفترة التي يجني فيها الفلاحين محاصيلهم. لكن هؤلاء النازحون تركوا ليدبروا امرهم بأنفسهم.»

«نحن ندرك بان ما يحصل هو مشكلة ونقوم بتتبعها بقدر ما نستطيع,». «لكن, بشكل عام, لم يكن هناك نظام دعم مستمر لهؤلاء, او حتى إقرار كاف بان هذا الامر يمثل مشكلة كبيرة.»

IRAQCOPY
Iraq In Global Think Tanks

نشرة تخصصية محدودة التداول يصدرها المعهد العراقي للحوار في بغداد وتتركز مهمتها في ترجمة اهم ما تتناوله مراكز التفكير العالمية حول العراق وتقوم ايضا بترجمة اشياء مهمة يعتقد فريق العمل ضرورة اطلاع صانع القرار عليها.

ونود ان نشير هنا الى مجموعة امور: -

**الامر الاول**: تتالف كل ترجمة من:

- **ملخص تنفيذي**: وهو خلاصة الترجمة حسب كاتبها ويقوم المعهد فقط بترجمتها وتلخيصها ولا يتصرف بافكارها ومفرداتها.
- ترجمة نص المادة مع الاشارة الى الفقرات المهمة عبر تظليلها باللون الغامق.
- **الملاحظات والتوصيات**: وهي تمثل راي المعهد ورؤيته للموضوع. وليس بالضرورة تبنيه للفكرة بل هو خلاصة ما وصل له راي المترجم والباحث.

**الامر الثاني**: يقوم المعهد بترجمة النص كما هو، فلا يعني ان المعهد يتبنى رأي الكاتب.

**الامر الثالث**: ان هذه النشرة تخصصية وترسل فقط لمجموعة محدودة جدا من صناع ومتخذي القرار في العراق. ولا يجوز نشرها شرعاً وقانوناً الا باذن من مدير المعهد حصراً.

**الامر الرابع**: يسر المعهد استقبال ملاحظاتكم وتصويباتكم وانتقاداتكم البناءة. على البريد الالكتروني ورقم الهاتف المثبتان على صفحات النشرة.

**الامر الخامس**: المعهد مستقل ماليا واداريا بشكل كامل ولا يستقبل اي تبرعات او معونات.

Iraqi Institute for Dialogue
للحوار

IRAQCOPY
Iraq In Global Think Tanks